

روح المعاني

الأوليات أن نوحا عليه السلام أول من عمل السفينة والحق أنه لا قطع بذلك و كل منصوب على الطرفية و ما مصدرية وقتية أي كل وقت مرور والعامل فيه جوابه وهو سخروا وقوله سبحانه : قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم إستئناف بياني كأن سائلا سأل فقال فما صنع نوح عليه السلام عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقل : قال : إن تسخروا منا لهذا العمل ومباشرة أسباب الخلاص من العذاب فإننا نسخر منكم لما أنتم فيه من الإعراض عن إستدفاعه بالإيمان والطاعة ومن الإستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لأسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها سخريتكم منا وإستهزاؤكم بنا وإطلاق السخرية عليهم حقيقة وعليه عليه السلام للمشكلة لأنها لا تليق بالأنبياء عليهم السلام وفسرها بعضهم بالإستجهال وهو مجاز لأنه سبب للسخرية فأطلقت السخرية وأريد سبها .

وقيل : إنها منه عليه السلام لما كانت لجرائهم من جنس صنيعهم لم تقبح فلا حاجة لإرتكاب خلاف الظاهر وجمع الضمير في منا إما لأن سخريتهم منه عليه السلام سخرية من المؤمنين أيضا أو لأنهم كانوا يسخرون منهم أيضا إلا أنه إكتفى بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله : نسخر منكم فتكافأ الكلام من الجانبين والتشبيه في قوله سبحانه : كما تسخرون .

38 .

- إما في مجرد التحقق والوقوع وإما في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملأ بعد ملأ وقيل : لا ما نع من أن يراد الظاهر ولا ضرر في ذلك لحديث الجزاء ومن هنا قال بعضهم : إن في الآية دليلا على جواز مقابلة نحو الجاهل والأحمق بمثل فعله ويشهد له قوله تعالى : فمن إعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى وجزاء سيئة سيئة مثلها وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به إلى غير ذلك والظاهر أن كلا الفعلين واقع في الحال .

وقال ابن جريج : المعنى إن تسخروا منا في الدنيا فإننا نسخر منكم في الآخرة وقيل : في الدنيا عند الغرق وفي الآخرة عند الحرق قال الطبرسي : إن المراد من نسخر منكم على هذا نجازيكم على سخريتكم أو نشمت بكم عند غرقكم وحرقتكم وفيه خفاء هذا وجوز أن يكون عامل كلما قال وهو الجواب وجملة سخروا صفة لملأ أو بدل من مر بدل إشتمال لأن مرورهم للسخرية فلا يضر كون السخرية ليست بمعنى المرور ولا نوعا منه وأبو حيان جعل ذلك مبعدا للبدلية وليس بذلك ويلزم على هذا التجويز إستمرار هذا القول منه عليه السلام وهو ظاهر وعلى الإعراب قيل : لا إستمرار وإنما أجابهم به في بعض المرات ورجح بأن المقصود بيان تناهيهم

في إيدائه عليه السلام وتحمله لأذيتهم لا مسارعتة عليه السلام إلى الجواب كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام وقد يقال : إن في ذلك إشارة إلى أنه عليه السلام بعد أن يؤس من إيمانهم لم يبال بإغضابهم ولذا هددهم التهديد البليغ بقوله : فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه أي يفضحه أو يذله أو يهلكه وهي أقوال متقاربة والمراد بذلك العذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب مقيم .

. 39

- أي دائم وهو عذاب النار و من عبارة عنهم وهي موصولة في محل نصب مفعول للعلم وهو بمعنى المعرفة فيتعدى إلى واحد .

وجوز ابن عطية أن يراد العلم المتعدي إلى مفعولين لكنه إقتصر على واحد وتعقبه في البحر بأنه لا يجوز حذف الثاني إقتصاراً لأن أصله خبر مبتدأ ولا إختصاراً هنا لأنه لا دليل على حذفه